الباب الرابع : في آداب الفتوى والمفتي والمستفتي وهو أربعة أنواع .
الباب الخامس : في شروط المناظرة وآدابها وآفاتها وفيه فصلان .
الباب السادس : في الأدب مع الكتب وما يتعلق بتصحيحها وضبطها ووضعها وحملها وشرائها واستعارتها وغير ذلك وفيه مسائل .
الخاتمة : في رقائق لطيفة مناسبة . وبالله التوفيق للعمل ، والعصمة من الزلل .

المقدمة

في الأمر بالإخلاص والصدق واحضار النية

قال تعالى : (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) والآيات في الأصلين كثيرة[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ الحديث : قال الشافعي رضي الله عنه : يدخل هذا الحديث في سبعين بابًا من الفقه . وقال هو وأحمد : يدخل في هذا الحديث ثلث العلم ، قال البيهقي : معناه أن كسب العبد إنما يكون بقلبه ولسانه وبدنه ، فالنية أحد أقسام كسبه الثلاثة ، وهي أرجحها لأنها تكون عبادة بانفرادها ، بخلاف القسمين الباقيين ، ولأن النية لا يدخلها فساد بريآء ولا غيره بخلاف غيرها ، وقيل هو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام . وقد أوصلها الإمام النووي إلى أربعين حديثًا وجمعها في أربعينيته ، وكان السلف وتابعوهم من الخلف يستحبون استفتاح المصنفات ونحوها بهذا الحديث ، وبه استفتح البخاري كتابه الجامع الصحيح تنبيهًا للمطالع على حسن النية . وقال صلى الله عليه وسلم : نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ رواه البيهقي في الشعب ، وفي رواية في الإحياء : نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ .

(١) أي في مقدمة شرح المهذب وفي الدر النضيد .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخبراً عن جبريل عن الله جلّ وعلا أنه قال: الإخلاص سرٌّ من أسراري أستودعته قلب من أحببت من عبادي رواه القشيري في الرسالة متصلاً مسلسلاً وعرّف الإخلاص فيها بأنه إفراد الحق تعالى في الطاعة بالقصد، أي يريد بها التقرب إلى الله دون شيء آخر من الخلق من تصنّع لهم أو تمدّحهم أو محبتهم أو محبة مدحهم، وقال في تعريفه كلمات كثيرة، ونقولاً غزيرة. وقال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وقال السري: لا تعمل للناس شيئاً، ولا تترك لهم شيئاً، ولا تُغطِ لهم شيئاً، ولا تكشف لهم شيئاً. وقال الجنيد: الإخلاص سرٌّ بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

وقال الإمام القشيري: أقلّ الصدق استواء السر والعلانية. وقال غيره: من أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق فإن الله تعالى يقول: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ)[1]. وقال الحارث المحاسبي: الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحبّ اطلاع الناس على مثاقيل الذر من عمله، ولا يكره اطلاعهم على الشيء من عمله، فإن كراهته لذلك دليل على حب الزيادة عندهم، وليس هذا من إخلاص الصدّيقين. وقيل: إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة. وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك. وسُئل فتح الموصلي عن الصدق فأدخل يده في كير الحداد وأخرج الحديدة المحماة ووضعها على كفه وقال: هذا هو الصدق.

وقال الجنيد: الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة، والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة. قال شيخ الإسلام النووي: معناه أن الصادق يدور مع الشرع حيث دار، فإذا كان الفضل الشرعي في الصلاة مثلاً صلى،

(١) الآية: (إن الله مع الصابرين) وليست شاهداً هنا.

أو في مجالسة العلماء أو الضيفان أو العيال أو قضاء حاجة مسلم أو جبر قلب مكسور ونحو ذلك فعل، أو في صوم أو قراءة أو ذكر أو أكل وشرب أو جِدّ أو مزاح أو عزلة أو مخالطة أو تنعّم أو ابتذال ونحوها أتى به، فحيث رأى الفضيلة في شيء من هذا فعله، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ولا يرتبط بعادة ولا بعبادة مخصوصة كما يفعله المرائي. ولا شك في اختلاف أحوال الشيء في الأفضلية، فإن الصوم حرام يوم العيد، واجب قبله، مسنون بعده، ويندب تحسين اللباس يوم الجمعة والعيد، وخلافه يوم الاستسقاء وما أشبه ذلك انتهى، وأقوالهم غير محصورة في ذلك والله تعالى أعلم.

الباب الأول

في فضيلة الاشتغال بالعلم على ما تقدم في ترجمته وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في فضيلة الاشتغال بالعلم وتصنيفه وتعلمه وتعليمه ونشره وحضور مجلسه والحث على ذلك، وترجيح الاشتغال به على الصلاة والصيام ونحوهما من العبادات القاصرة على فاعلها.

قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا). (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ). (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) إلى قوله: (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ). (يَرْفَعِ اللَّهُ